المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والستين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٣ — الموافق ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤٢

الحرم القدسي

كيفما ضربت في الارض من حدود الصين واليابان شرقاً الى اطراف اميركا الشمالية والجنوبية غرباً ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب . ومن زمن المصريين الاقدمين الى عصرنا الحاضر تجد المباني التي شادها الناس لمعبوداتهم اعظم مبانيهم كلها واجلها منظراً وهي عنوان مجدهم ودليل تعبدهم واصدق مثال لتفوقهم في فن البناء والنقش. وحسبنا ما نراه الآن في هياكل الوثنيين وكنائس المسيحيين ومساجد المسلمين من الفخامة والعظمة والاتقان ولاسيما حيث يكون اصحاب السلطة في البلاد من اهل الدين الذي شيدت له تلك المعابد كما في هياكل الهند والصين وكنائس اوربا واميركا ومساجد مصر والشام . ويظهر لنا ممّا قاله ارباب فن البناء الذين الّفوا المطولات في هذا الموضوع ورجال السياحة الذين وصفوا ما شاهدوه في مشارق الارض ومغاربها ان الحرم القدسي اي قبة الصخرة والمسجد الاقصى المجاور لها من اعظم المعابد بناء واجلها نقشاً . فهما درتان في تاج الشرق الادبي وكنزان ثمينان يجب الاحتفاظ بهما كأثمن ما يكون عدا ما لهما من الاحترام الديني عند ذويهما . الا ان مباني البشر مهما بلغت من الفخامة والاتقان لا تسلم من افعال الطبيعة فالزلازل تهدمها والنار تحرقها وانياب الدهر الظاهرة بفعل الحر والبرد والمطر وعناصر الهواء تجور عليها فلا تُحفَظ ما لم تتعهد دواماً بالترميم والاصلاح

لقد كان على الدكة التي بُني عليها هذان المسجدان هيكل سليمان الحكيم الذي اشترك في بنائه وزخرفته امهر بناة الفينيقيين واحذق صناعهم على ما جاء في التوراة.

الكل ذلك الهيكل هدمهُ الغزاة من الكلدان واجلوا اتحابهُ فلما عادوا من الجلاء في عهد داريوس الماذي بنوهُ ثانية فتهدم ثم بناهُ الملك هيرودس قبيل التاريخ المسيحي وابدع في بنائهِ اي ابداع كما يظهر من وصف يوسيفوس لهُ. لكن الرومان احرقوهُ ودمروهُ سنة ٧٠ للميلاد. وبنى الامبراطور ادريانوس هيكلاً كبيراً لزحل في مكانهِ. ويقال انهُ لما فتح العرب اورشليم في عهد الامام عُمَر كان المسيحيون قد بنوا كنيسة كبيرة في المكان الذي كان فيهِ هيكل سليمان بناها الامبراطور يستنيانوس الذي رقي الى سدَّة الملك سنة ٥١٨ للميلاد. وسنة ٦١٤ اجتاح كسرى الثاني (انوشروان) بلاد الشام وخرَّب ما فيها من المعابد فاستردها منهُ هرقل ملك الروم وبعد قليل اتتها جيوش العرب وفتحت بعضها عنوةً وبعضها سلماً وتمَّا فتحتهُ سلماً بيت المقدس وذلك سنة ١٥ هجرية (٦٣٧ مسيحية).

وقد وضع المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى في فلسطين رسالة في تاريخ الحرم القدسي ووصفهِ قصد الاستعانة بالامم الشرقية لتبذل ما تسخو بهِ نفوسها لحفظ هذا الاثر الديني الفني العظيم فاعتمدنا عليها بالاكثر في تلخيص ما يلي لاننا رأيناها من اوفى ما اطلعنا عليهِ في هذا الموضوع

لمَّا افضت الخلافة الى عبدالملك بن مروان وحيل بينهُ وبين الحرمين الشريفين لقيام خصمهِ اذ ذاك عبد الله بن الزبير خليفةً في الحجاز ولّى وجههُ شطر القبلة الاولى فامر بالشاء المسجد الاقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس ورصد لذلك خراج مصر سبع سنين ووكل على العمارة ابا المقدام رجاء بن حيوة بن جود الكندي وكان من العلماء الاعلام ويزيد بن سلام مولى عبد الملك من اهل بيت المقدس . . . وبقيت بعد الفراغ من عمارة الحرم مئة الف دينار فامر بها عبد الملك جائزة لرجاء ويزيد فكتبا اليهِ نحن اولى ان تزيدهُ من حلي نسائنا فضلاً عن اموالنا فاصرفها في احب الاشياء اليك. فكتب اليهما بان تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وافرغت عليها فما كان احد يقدر ان يتأملها ممَّا عليها من الذهب . . . وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى في سنة ٧٢ من الهجرة وقد قرن اسم عبد الملك بهذا الاثر الخالد منقوشاً بالفسيفساء عند مدخل الصخرة من الباب الجنوبي بعبارة هذا نصها الآن « بنى هذه القبة عبد الله عبد الله الامام المأمون امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين يتقبل الله منهُ ورضي الله عنهُ امين ». ويظهر من اختلاف الخط واللون

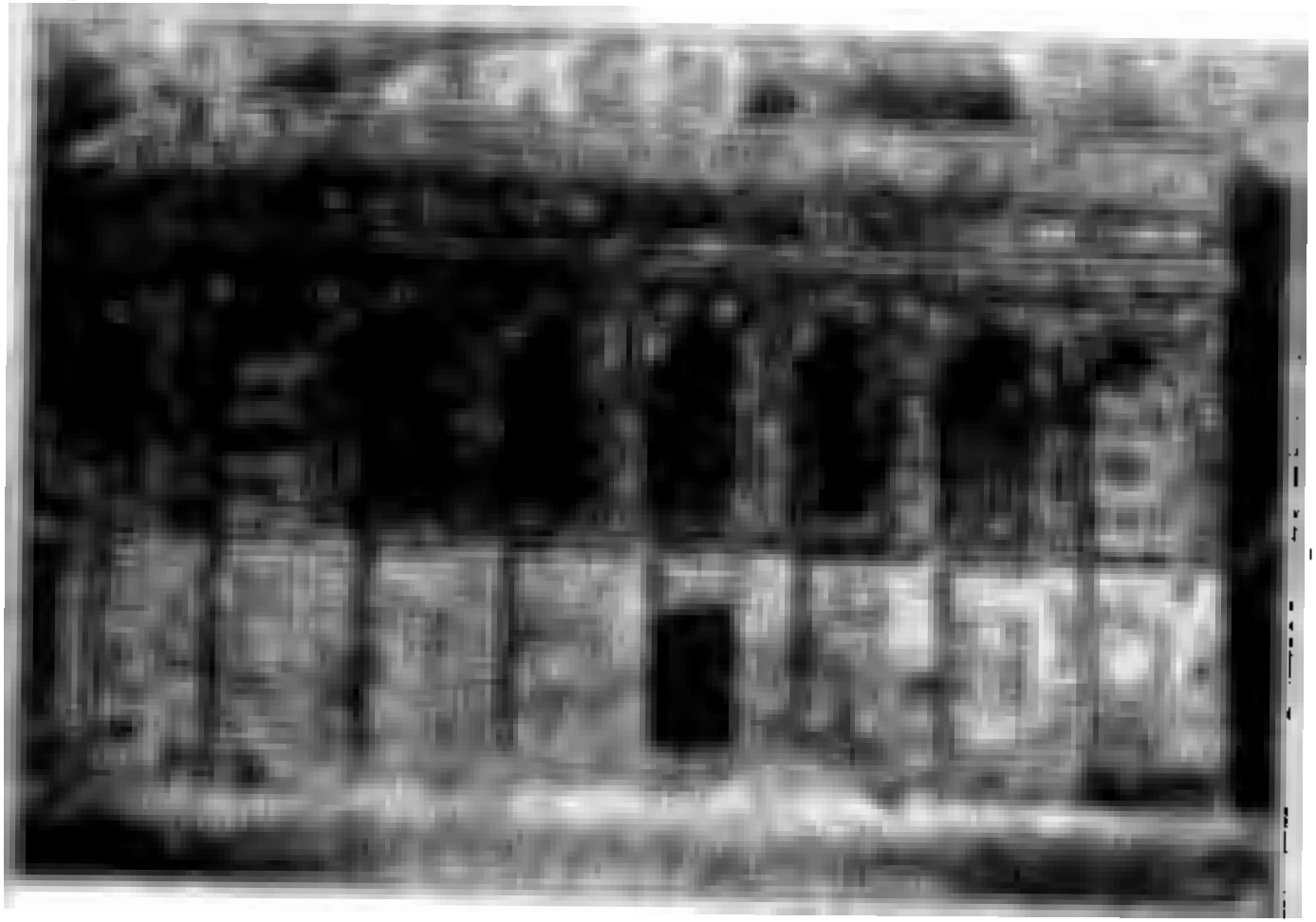

الشكل الثاني منظر جدار من جدران قبة الصخرة

مقتطف ديسمبر ١٩٢٣
امام الصفحة ٣٢٢

الشكل الثالث منظر داخل القبة ويرى في اسفله جانب من الصخرة

مقتطف دسمبر ١٩٢٣

امام الصفحة ٢٣٠

في اسم الامام المأمون انهُ من الاضافات التي حدثت بعد ذلك التاريخ (كما يظهر من رسم فوتوغرافي اتحفنا به العلامة احمد زكي باشا) وقد نشرناهُ تحت الشكل الاول في صور هذا الجزء

ولكن كلّ بيت للهدم ما تبتني الـ ورقاء والسيد الرفيع العماد

والعبرة كل العبرة في ان الامم الحية لا تتغلب عليها نوائب الدهر كما ان الجسم الحي يبني ما يندثر منهُ كل يوم واذا كان في ريعان الصبا وعنفوان الشباب زاد نموّاً. ففي سنة ١٣٠ هـ سقط شرق المسجد الاقصى وغربيهُ في الزلزلة التي حدثت في خلافة ابي جعفر المنصور فخوطب في عمارته فامر بقلع صفائح الذهب والفضة التي كانت على الابواب فقلعت وضربت دنانير وانفقت عليهِ حتى فرغ . ولعلهُ اظهر هذا البخل لان المسجد من مباني الامويين لا من مباني العباسيين . ثم حدثت زلزلة اخرى سنة ١٥٨ هـ تهدّم بها البناء الذي امر بهِ المنصور فاعيد بناؤهُ في خلافة المهدي سنة ١٦٩ هـ واخيراً جددت عمارة قبة الصخرة في عهد المأمون سنة ٢١٦ . وزلزلت الارض سنة ٤٠٧ هـ فتهدمت هذه القبة وبعض الجدران المحيطة بها فبناها الملك الظاهر سنة ٤١٣ . ولما احتل الصليبيون بيت المقدس حولوا قبة الصخرة الى كنيسة وهم يحسبون انها هيكل سليمان (وبنوا على مثالها بعض الكنائس في اوربا اي جعلوها بمثابة الجدران) فاستردها منهم الملك صلاح الدين واعاد الحرم الشريف الى ما كان عليهِ وذلك سنة ٥٨٢ هـ . وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد اعدّ منبراً عجيب الصنعة صنعهُ حيد بن طاقر الحلبي وسليمان بن معالي من خشب مرصع بالعاج والابنوس وعليهِ تاريخ سنة ٥٦٤ فاحضرهُ صلاح الدين من حلب وجعلهُ في المسجد الاقصى وهو الموجود في عصرنا هذا . وامر بترميم محراب المسجد الاقصى وكتب عليهِ بالفسيفساء الذهبية ما نصهُ « بسم الله الرحمن الرحيم امر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله وولية يوسف ابن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عند ما فتحهُ الله على يديهِ في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظهِ من المغفرة والرحمة »

وتوالى الملوك من آل ايوب وهم يزيدون في تنميق المسجدين ويرممون ما تهدم منهما الى ان كانت ايام الملك الناصر محمد بن قلاون وكان من المغرمين بتشييد

المباني فرخّم صدر المسجد الاقصى وفتح فيهِ الشبابيك الثلاثين على يمين المحراب وشماله وجدّد تذهيب قبة المسجد الاقصى وقبة الصخرة وبقي الذهب عليها على رونقهِ الى ايام نورالدين بعد ذلك بمائة وثمانين سنة . وفي ايام الملك شعبان حفيد الملك الناصر بنيت المأذنة التي على باب الاسباط بمباشرة السيفي قطلوبغا ناظر الحرمين الشريفين وذلك سنة ٧٦٩

والمحقق ان السلطان سليمان القانوني عني بالحرم القدسي فجدّد القبة على ما نقلهُ الاستاذ مرغوليوث وغيّر وضع كواها فجعل حنايا هامرأسة ووضع فيها الزجاج الملون على اشكال بديعة حتى يتلطف النور الداخل منها ووضع القاشاني الجميل الالوان فوق واجهة الفسيفساء الباقية من عهد الوليد والظاهر واستدعى لذلك الصناع من بلاد فارس

وقد عنيت اللجنة المهتمة الآن بجمع الاموال لترميم هذين المقامين العظيمين بتصويرهما من الداخل والخارج بالوان تشبه الوانهما فاتت هذه الصور آية في الابداع كما شهد الذين رأوها في هذا القطر مع ان الناظر اليها لا يرى الاَّ صوراً صغيرة لا تمثل العظمة والمهابة ولو مثلت الإحكام الهندسي والجمال الفني فكيف بهِ لو رأى الاصل ماثلاً امام عينيهِ بعظمتهِ كلها. ولقد احسنت اللجنة حيث قالت في بيانها ما نصهُ

« المباني التي يتألف منها الحرم الشريف جمال وجلال يشعر بهما كل من يتاح لهُ التمتع بمشاهدتهما ايّاً كان سواء في ذلك العالم والجاهل الكبير والصغير المسلم وغير المسلم فاذا سرّح الطرف متأملاً في عجائب صنعتهما ازداد تأثرهُ واتسع شعورهُ وحلق وجدانهُ مرتقياً من الحسن الى الاحسن ومن السامي الى الاسمى »

ثم وصفت قبة الصخرة وقالت انها قائمة على بناء فخم مثمن الشكل يذرع كل جانب منهُ ٢٠ متراً و٤٠ سنتمتراً وقد كسي القسم السفلي من ظاهرها بالرخام الابيض المشجّر والقاشاني البديع الذي يترقرق فيهِ ماء الالوان المتزاوجة من لازوردي صاف واخضر قاتم وابيض ناصع يعلو ذلك شبه افريز رسمت عليهِ آي القرآن الكريم بخط جميل وقد صنع هذا القاشاني العجيب في ايام السلطان سليمان القانوني

وللبناء اربعة ابواب باب الجنة في الشمال وباب النساء في الغرب وباب داود او باب السلسلة في الشرق وباب القبلة في الجنوب وامام هذا الباب رواق مفروش

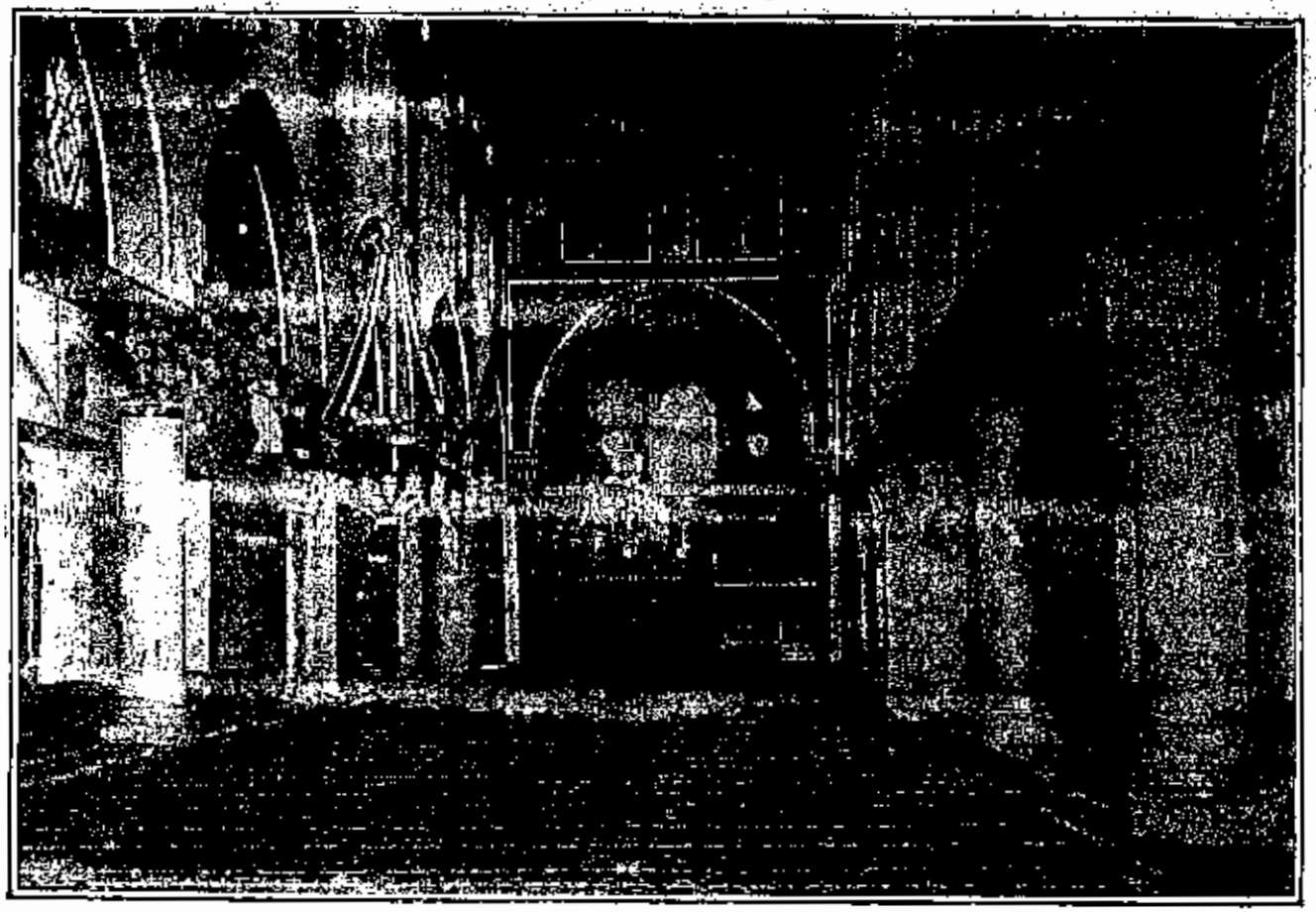

الشكل الرابع منظر في داخل المسجد الاقصى

مقتطف دسمبر ١٩٢٣
امام الصفحة ٣٢٥

بالرخام عليه سقف مكسوٌّ بالقاشاني وهو محمول على ثمانية اعمدة من الرخام مختلفة نوعاً ولوناً. ويبلغ قطر البناء من الداخل ٥٠ متراً وهو مقسوم الى ثلاث مناطق يفصل بعضها عن بعض صفان مستديران من الاعمدة المختلفة الالوان . ويزين باطن القبة ٦٤ شكلاً مصنوعة من الفسيفساء الملونة مركبة على سطح موشّى بالذهب وفي كرسي القبة ست عشرة طاقة من الزجاج المذهب وعليها نقوش تدل على انها صنعت في زمن السلطان سليمان سنة ٩٤٥ للهجرة الاّ ان المرمر الذي يكسوها ركب في زمن السلطان صلاح الدين وجدد في ايام السلطان سليمان

نرى في الشكل الاول المقابل لصدر هذه المقالة صورة عامة للحرم القدسي اي مسجد الصخرة والمسجد الاقصى والدكة التي اقيما عليها وما فيها من المباني الاخرى. وفي الشكل الثاني صورة جدار من جدران مسجد الصخرة من الداخل وفي الشكل الثالث صورة جانب من الاعمدة القائمة عليها القبة وفي الارض بينها جانب من الصخرة

والمسجد الاقصى الى الجنوب من مسجد الصخرة وطوله ٨٠ متراً وعرضهُ ٥٥ متراً عدا ما اضيف اليهِ من الابنية ومنها رواق كبير انشأهُ الملك المعظم عيسى ابن ابي بكر بن ايوب صاحب دمشق سنة ٦٣٤ . والمسجد قائم على خمسة واربعين عموداً وهي قديمة نقلت في الغالب من انقاض ابنية اقدم عهداً من الحرم وفوقها قناطر كما ترى في الشكل الرابع .وباقصى المسجد من الجنوب قبة مرتفعة مزينة بالفسيفساء المذهبة الملونة وهي مما رممهُ صلاح الدين سنة ٥٨٤

وقد اثبت الآن كبار المهندسين ان قبة الصخرة والمسجد الاقصى وما يحتويان من الكنوز الفنية النادرة المثال اصبحا في خطر من السقوط لان البناء قد تصدع من بعض جهاتهِ وقدّر المهندسون لترميمهِ مائة وخمسين الف جنيه على اقل تقدير . فبذل المجلس الشرعي الاسلامي همتهُ للشروع في الترميم حالاً خوفاً من اتساع الخرق واستدعى الاستاذ المعماري كمال الدين بك من دار الخلافة وطفق يعدهُ بما تصل اليهِ يدهُ من فضلة اموال الاوقاف المحلية. غير ان مال الاوقاف في فلسطين قليل لا يكاد يكفي عشر ما يقتضيهِ مثل هذا العمل العظيم . فلا نرى لامم الشرق متدوحة عن التعاون على حفظ هذين المقامين الجليلين لغرض ديني مندوب اليهِ ولغرض وطني يُفتخر بهِ